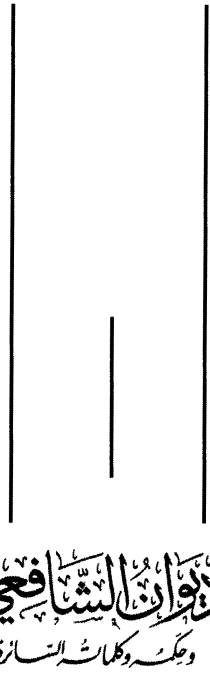
ديوان الشافعي
وحكمه وكلماته النادرة

حقوق الطبع والتصوير محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

يُطلَبُ مِنْ
مكتبة دار الفجر
دمشق - حلبوني - جادة الشيخ تاج
٢٢٢٨٣١٦ ص.ب ٣٥٢٥٧ - فاكس ٢٤٥٣١٩٣

ديوان الشافعي

وحِكَمه وكلماته السائرة

جَمَعَهُ وَضَبَطَهُ وَشَرَحَهُ

يوسف علي بديوي

قالوا

* كان الشافعيُّ كالشَّمس للدُّنيا ، وكالعافية للناس .
فانظرْ هل لهذَيْن مِنْ خَلَفٍ ، أو منهما عِوَضٌ ؟ !

الإمام أحمد بن حنبل .

* طالتْ مجالستُنا للشافعي ، فما سمعتُ منه لَحْنَةً قطُّ ، ولا كلمةً غيرُها أحسنُ منها . الشافعي كلامُه لغةٌ يُحْتجُّ بها .

ابن هشام صاحب « السيرة النبوية »

* نظرتُ في كُتُب هؤلاء النَّبَغة ؛ الذين نَـبَغُوا في العلم ، فلم أَرَ أحسنَ تأليفاً من « المطَّلبي » لسانُه ينثرُ الدُّرّ .

الجاحظ

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، حمداً يوافي نِعَمَهُ ، ويكافىء مزيدَه ، ما انْسَكَبَ قَطْر ، وتنفَّسَ فَجْر ، وتوقَّد قَبَس ، وتردَّد نَفَس .

الحمـــدُ للهِ ذي الآلاءِ والنِّعَـــمِ ومُبْـدِعِ السَّمْـعِ والأبصـارِ والكَلِـمِ
مَنْ يَحْمدِ اللهَ يأتيهِ المزيدُ ومَنْ يَكْفُـرْ فكَـمْ نِعَـمٍ آلَـتْ إلـى نِقَـمِ

اللهم صلِّ على سيدنا محمد ، النبي المبعوث رحمةً للورى ، وسراجاً منيراً للأمة ، وقدوةً صالحة للناس ، ومثلاً كاملاً للمسلمين ، دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وربَّى جيلَ الصحابة على الخُلُق القويم ، والصراط المستقيم .

وصَلِّ ربِّ على « المختارِ » ما طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهارِ ولاحَتْ أَنْجُمُ الظُّلَمِ
والآلِ والصَّحْبِ والأَنْصارِ مَنْ تَبِعُوا هُـداهُ واعْتَـرَفُـوا بـالعَهْـدِ والـذِّمـمِ
وامْنُنْ على عَبْدِكَ العاني بمغْفِرةٍ تَمْحُـو خَطَـايـاهُ فـي بَـدْءٍ ومُخْتَتَـمِ

أمَّا بعد :

فإنَّ للعلماء على مرّ العصور فضائلَ تُتلى ، ومحاسنَ تُجْلَى ، وشمائل تُعادُ وتُبدى ، كلما كرَّ الجديدان ، واختلف المَلَوان ، فآيات علمهم ظاهرة ، وبيِّنات معرفتهم باهرة ، تسطع مشرقةً لكل ذي عينين ؛ في دوحة السباق إلى الصلاح والخير ، والمسارعة إلى الاستجابة لنفحات الحق ، وشذا الإيمان ، وعَبَق المكارم .

ومِنْ هؤلاء العلماء الأفذاذ ، يبدو الإمامُ الشافعي ـ رحمه الله ـ قمةً في العلمِ والدِّيْن ، والخُلُق الرفيع ، والإخلاص ، والتفاني لرفع منار الحق ، ونَفْي الخبث والشوائب والأدران والشبهات ؛ فكان نبراساً هادياً ، وفيضاً خالداً ، وصفحةً متألقةً في جبين التاريخ ، يُشار إليه بالبنان ، وترنو نحوه القلوبُ للتأسّي ، فهو الإمام ، المصلح ، الفقيه ، المجتهد ، الأديب ، المحدِّث ، المؤلِّف ، صاحب المذهب المشهور .

ويكفينا ما قاله الخطيبُ البغدادي وهو يُعدِّد بعضَ مزايا الشافعي ، فقال : « منها : جزيل حظّه من الأدب ، وجلالة محتِده في النسب ؛ الذي ساوى به في الحكم بني عبد المطلب » .

ثم قال : « فإنَّ مناقبه أكثر من أن تُحصى ، وعَدُّ ما جَمَع اللهُ فيه لا يُسْتوفى . فسما على الأَكْفَاء ، فصار نسيج وحده ، وفريد مَجْدِه ، وقريع دهره ، وواحد عصره . إنْ ذُكرتِ المفاخرُ فهو الغاية ، وإنْ عُدّتِ المحاسنُ فهو النهاية »[1] .

وكان الشافعيُّ ـ إلى جانب تفوُّقه العلمي والفقهي ـ إماماً في الأدب واللغة ؛ وفَهْم أسرار العربية ، وفصاحة اللسان ، وجَوْدة النطق ، وتفهُّم المعاني ، وقوّة الأسلوب ، وإدراك تعابير اللغة ودلالاتها ، علاوةً على حفظه الغزير للأشعار ، فاكتسب رصانةَ الأداء ، وبلاغةَ البيان .

ولا أجدُ أصدقَ وأدلَّ من قول الجاحظ : « نظرتُ في كُتُب هؤلاء النَّبغة ؛ الذين نبغوا في العلم ، فلم أَرَ أحسنَ تأليفاً من « المطّلبي » لسانه ينثر الدُّر »[2] .

---

(١) رسالة : مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أُسْنِد إليه ؛ للخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور خليل ملا خاطر (ص٣٧٠) .

(٢) مناقب الشافعي ؛ للرازي (٨٧) آداب الشافعي ومناقبه ؛ للرازي (١٣٧ ـ ١٣٨) توالي التأسيس (٥٩) .

وقد عُرِف الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ بالفقه والاجتهاد ، وأنه أصوليّ جِهْبِذ ، لكنَّ القليلين هم الذين يعرفونه شاعراً مُفْلِقاً ، وأديباً مُحلِّقاً ، وإماماً في اللغة مُجلِّياً .

وهذا ما دَفَعني للعناية بديوان شعره ، وجَمْعه من بطون الكتب على اختلاف مشاربها ، وتعدُّد فُنونها ، على الرغم من الجهود التي قام بها عددٌ من الباحثين ، فلكلٍّ سمةٌ خاصة ، وفَضْل لا يُنكر ، ولكنَّ هذا لا يمنعُ من إصدار طبعةٍ جديدةٍ لشعر الشافعي ؛ موثقة بالمصادر والمراجع ، مشروحةٍ ، مضبوطة بالشكل ؛ فكلُّ الجهودِ تصبُّ في خليجٍ واحد ، هو خدمةُ لغة الشافعي ، وجَمْع شعره ، وبيانه للناس ؛ ليقف طلابُ العلم على الجانب الأدبي واللغوي للإمام الشافعي ؛ فيحصِّلوا فوائد لا تُنسى ، ونواحي إيجابية تمثل في الأذهان ، ويكون هذا الديوان كما قال الشاعر :

هذا الكتابُ الذي لو يشتريه فتىً ... بوزنِه ذَهَباً أقسمتُ لم يُلَمِ
لأنَّه جامعٌ للخيرِ قاطبةً ... وفيه ما فيهِ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ حِكَمِ
أكْرِمْ بطابعِهِ أَكْرِم بناشِرِهِ ... قد أَسْدَيا نعمةً مِنْ أعظمِ النِّعَمِ

فآدابُه فائقة ، ومعانيه رائقة ، قد أينعتْ لطائفُ رياضه ، ومُلِئت أرجاءُ حياضه ، فصار نزهةً للنفس لا يُصيبها الملل ، ولا يشغلها خَطَل[1] .

وبمنَّة الله تعالى وفضله ، وحُسْن توفيقه وعونه ، شمَّرتُ عن ساعد الجدّ ، وسرتُ في رحلة الشعر مع الإمام الشافعي ، أجمع المتفرِّق ، وأُبوِّب المتّفق ، وأقرأ ما انبثَّ هنا وهناك ، وأقابل بين المصادر ؛ حتى تهيَّأ هذا الشعرُ المجموع بعد بحثٍ طويل ، ودأب مستمر ، واستقصاء يستوعب ـ إلى حدٍّ ما ـ شعر الشافعي ، ويُكوِّن دلالةً على تفوُّقه بين الفقهاء الشعراء ، وغيرهم ممن لهم يدٌ طولى في خدمة اللغة العربية وآدابها الفُضْلى .

---

(١) « الخطل » : هو الكلام الفاسد المضطرب .

ووضعتُ لكل نصٍّ شعري عنواناً ، وأشرتُ إلى اسم البحر الذي ينظم تلك المقطَّعات والقصائد والأبيات المفردة ، كما جعلتُ لكل بيتٍ من القصيدة أو القطعة الشعرية رقماً متسلسلاً ، وذكرتُ المناسبة إن وُجِدت ؛ ليكون القارىء مستحضراً للجوِّ العام للأبيات ، وشرحتُ طائفةً من الألفاظ الغريبة ، اعتماداً على المعاجم اللغوية .

وثمَّة كلماتٌ مأثورة ، وحِكَمٌ بليغة ، قالها الشافعي ، وحفظها التاريخ ، وهي ذاتُ مدلولٍ عميق ، ووليدةُ تجربةٍ خاضها الإمامُ الشافعي ؛ فجمعتُ قدراً منها ، وألحقتُه بهذا الديوان ؛ ليكون النثر بجانب النَّظْم ، ويطلع القارىءُ الكريم على جانب الحكمة النثرية ، في فَيْضها الزاخر ، وسَناها الباهر .

هذا ، وأرجو أن أكونَ قد وُفِّقتُ في عملي ، ومَنْ وَجَد سهواً أو خطأً ، فكلُّ بني آدم خطّاء ، والكمالُ لله وحده ، ورحم اللهُ امرأً أهدى إليَّ عثراتي ، وسيجدني شاكراً له ، مُثنياً على فَضْله .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزِدْنا علماً يا أرحم الراحمين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

دمشق في ٧ / ذي القعدة / ١٤٢٠هـ — يوسف بديوي
١١ / شباط / ٢٠٠٠م

الإمام الشافعي
حياته وشعره

* اسمه ونسبه :

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي . وقد لقي جدُّه « شافعٌ » رسولَ الله ﷺ وهو مترعرع . وكان أبوه « السائبُ » صاحبَ راية بني هاشم يوم بدر ، فأُسِر ، وفَدَى نفسَه ، ثم أسلم ، فقيل له : لِمَ لَمْ تُسْلِم قبل أن تفتدي نفسَك ؟ فقال : ما كنتُ أحرمُ المؤمنين طَمَعاً لهم فيَّ .

وُلِد الشافعي في « غَزَّة » سنة (١٥٠هـ) وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة .

وقد حكى الشافعيُّ عن نفسه فقال : وُلِدْتُ بغزَّة سنة خمسين ومئة . وفي رواية عنه أنه قال : وُلِدْتُ بعَسْقَلان . وبينها وبين غَزَّة ثلاثة فراسخ[1] وكلا الموضعين في فلسطين .

وكان إدريس ـ والد الشافعي ـ قد اضطر للذهاب إلى « غزّة » طلباً للرزق ، وكَسْب القوت ، غير أنه توفي وابنه لمّا يزل في المهد ، فعادتْ به أمُّه الأزدية إلى ربوع مكة ، واستقرتْ عند بعض ذوي قرباه ، وهو ابن سنتين .

---

(١) « فراسخ » : جمع فَرْسَخ ، وهو مسافة تبلغ ثلاثة أميال هاشمية . والميل الهاشمي (٥٧٦٠) متراً . فالمسافة بين غزّة وعسقلان حوالي (١٧) كم .

*** تحصيله العلمي :**

نشأ الشافعي بمكة المكرمة ، حيث أسلمتْهُ والدتُه إلى « الكُتَّاب » إلا أنّها لم تكن تملكُ أجرةَ المعلِّم ، فكان الشافعيُّ يخلف أستاذَه على التلاميذ في حال انشغاله بأمورٍ أخرى ، وكانتْ هذه النوبةُ بمثابة أَجْرٍ يُسديه الشافعي إليه .

وقد استظهر القرآنَ الكريمَ وعمره سبع سنين . وشَرَع في الولوج إلى مرحلةٍ علمية أرقى في وقتٍ مُبكِّر ، فكان يلتقط الآجرَّ والجلود وأصول السَّعف ، ويجلس على مقربةٍ من العلماء الأجلاّء ؛ ليحفظ أحاديث رسول الله ﷺ ، ويجيء إلى الدواوين فيستوهب منها الأوراق ؛ فيكتب فيها ؛ حتى امتلأتْ جرارٌ كثيرة .

*** رحلاته العلمية :**

خرج الشافعي عن مكة ، ولزم قبيلة « هُذَيْل » في البادية ؛ ليتعلم كلامها ، ويأخذ طَبْعَها ـ وكانت هُذَيْل أفصح العرب ـ وبقي الشافعي بضع سنوات يرحل برحيلهم ، وينزل بنزولهم . ثم عاد إلى مكة ، وجعل ينشد الأشعار ، ويذكر الآدابَ والأخبارَ وأيَّامَ العرب[1]، فنصحه بعضُ بني عمِّه ليجمع الفقهَ إلى جانب اللغة والفصاحة والذكاء ؛ فيسود أهلَ زمانه ، وأشار عليه بلزوم إمام دار الهجرة : مالك بن أنس .

فما كان من الشافعي إلاَّ أن استعارَ « الموطّأ » من رجلٍ بمكة ، وحفظه في تسع ليالٍ ، ثم سافر إلى المدينة المنوَّرة ، ولقي « مالكاً » الذي قال له : « يا محمد ؛ اتَّقِ الله ، واجتنبِ المعاصي ؛ فإنه سيكون لكَ شأن » .

واشتدَّ إعجابُ مالك بالشافعي ، فكان يقول : « ما أتاني قرشيٌّ أفهم من هذا الفتى ـ يعني : الشافعي ـ » .

---

(١) إلى جانب براعة الشافعي في العلم ، كان من أحذق قريش بالرمي ، يصيب من العشرة عشرة .